فقيدنا الغالي

الشيخ محمد رضا آل يس

١٢٩٧ - ١٣٧٠ هـ

تمهيد في اسرته

آل يس اسرة عربية عريقة في العلم والفضل وتاريخها حافل بالفضائل نبغ منها رجال كانوا نقطة التحول في تاريخ العلم والعلماء واشهر من نبغ فيها جد المترجم له الشيخ محمد حسن آل يس فقد ولي الزعامة الدينية وتوارث العلم عن أجداد أفذاذهم والده الشيخ ياسين بن الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ محسن الكاظمي وهؤلاء كانوا قادة البلد وزعماء الدين في الكاظمية .

ولد الشيخ محمد الحسن في الكاظمية سنة ١٢٢٠ هـ ونشأ في اخضان اسرته التي توارثت العلم والدراسة الدينية كابراً عن كابر . هاجر الى النجف في عهد العلامة الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر فاتصل به وتلمذ عليه وانتهل من ينبوعه الصافي ، ولقوة تمركزه في نفس استاذه كان يمضي حكمه عنده ولما يستتم عمره الخامسة والعشرين ، وتلمذ على الفقيهين الشيخ علي بن الشيخ موسى كاشف الغطاء والشيخ جواد ملا كتاب ، كما أخذ اصول الفقه على العلامة الكبير شريف العلماء في كربلا .

نال مرتبة الزعامة في الدين فخضع له كثير من العلماء للاستفادة من قلمه ورأيه فقد كان العلامة الميرزا حبيب الله الرشتي يذكر آراء المترجم له من على منبره لاعضاء حلقة درسه ، ولولعه بنشر العلم وتخصوبة النجف العلمية استطاب له المقام وحرص أن لا يفارق بلد الامام علي «ع» غير ان استاذه صاحب الجواهر الزمه بالعودة الى الكاظمية ليستعيد بها المركز الديني الذي ساهم في تأسيسه أجداده الكرام أجلبه فاذا به العلم المفرد والسيد المطاع والامام المقتدى والمثل الأعلى في الكاظمية . رجع الرأي العام له بالفتيا بعد وفاة استاذه صاحب الجواهر وبالتقليد بعد وفاة الامام الأنصاري وانتشر رأيه في الأوساط الاسلامية والعواصم الشرقية ، وقد أحصي في حلقة درسه عشرون مجتهداً . نكب في حياته بفقد الأولاد فقد مات له ستة اعلام فيهم المجتهدون المعترف لهم بالمزتبة العلمية السامية .

من كتبه (١) أسرار الفقاهة في احد عشر مجلد - كتاب استدلالي - (٢) رسالة عملية في العبادات (٣) رسالة في اختلاف الافق للصائم (٤) تعليقات على كتاب الفصول في الاصول (٥) تعليقات على الرسائل (الفرائد) للامام الأنصاري (٦) رسالة في حقوق الوالدين (٧) المجالس في تسعين موضوعا في الدين والاخلاق والتأريخ .

توفي بمسقط رأسه في التاسع من رجب سنة ١٣٠٨ هـ وتأريخ وفاته (ثلم الاسلام ثلمة) وحمل جثمانه الى كربلا فالنجف ودفن بها حيث مرقده الذي تقوم عليه قبته الزرقاء في (العمارة) .

ورثاه شعراء عصره جميعاً وولي الامامة بعده حفيده الحجة الشيخ عبد الحسين بن الشيخ باقر آل يس وتوفي سنة ١٣٥١ هـ ودفن الى جنب جده في النجف وهو والد فقيدنا .

الحجة الاكبر آل يس

مولده ونشأته :

ولد قدس سره في الكاظمية حيث موطنه وموطن اسرته الكريمة ضحى يوم الاربعاء السابع من ربيع الاول عام ١٢٩٧ هـ ونشأ بها نشأة عالية في حجور جديه العظيمين الشيخ محمد حسن المار الذكر والعلامة الشهير السيد هادي صدر الدين المتوفى ١٣١٦ هـ ، وفي حضانة أبويه الكريمين فكان أسعد طفل في طفولته وأسعد صبي في صباه . وبدأ يدرس النحو والمقدمات في عهد جده الكبير ، وكان يدعوه اليه ويجلسه الى جنبه ويسأله عن دروسه وكثيراً ما سمع منه قوله مشيراً له (هذا أمل الاسرة وعماد البيت) .

وتوفي جده وهو في الحادية عشرة من عمره ولكنه كان يزيد على ابن العشرين في تحصيله . وقد درس مقدمات العلوم

على العلامة الشيخ عبد الحسين البغدادي وكان إذ ذاك في الكاظمية ، ثم درس على والده وعلى خاله السيد حسن الصدر في الكاظمية أيضاً . وأخذ علم أصول الفقه على المحقق الشيخ حسن الكربلائي المتوفى ١٣٢٢ هـ والعلامة السيد علي السيستاني

وفي الفرصة التي اتيحت للكاظمية بهجرة المرحوم آية الله السيد اسماعيل الصدر المتوفى ١٣٣٨ هـ اليها وذلك من عام ١٣١٢ هـ - ١٣١٤ هـ كان هذا الناشيء الفاضل المعترف بفضله يومذاك يتطلع الى التلمذة على درس هذا الاستاذ الكبير في الكاظمية . ولمكانته السامية في نفس استاذه العظيم فقد حباه بمصاهرته على كريمته الوحيدة سنة ١٣١٥ هـ فاذا به التلميذ المنقطع اليه الملازم له في الكاظمية وكربلاء الى سنة ١٣٢٦ هـ

نبوغه المبكر :

يحدثنا تأريخ الفقهاء عن نوابغ ظهروا في القرون الاسلامية وهم يعدون بالاصابع بين واحد وآخر عدة قرون كان آخرهم شيخنا الراحل فقد تواتر القول والنقل من مشايخ العصر وافذاذهم ومن الآثار والمستمسكات الدالة على تفوقه في الذكاء وقابليته لحمل الفقه ، العلم الذي تعرف به مقاييس العباقرة والأذكياء لاتساعه وتعدد فروعه وتنوع أغراضه ولعلاقته بالتوليديات وكافة نواحي الحياة ، فقد كان شيخنا الراحل أذكى تلميذ وأول نابغ في عصره حمل العلم ووعاه وهو شاب يافع ، وكان في هذه السن قد قلد الامام الميرزا حسن الشيرازي نزيل سامراء وعند ما رحل الى الفردوس عام ١٣١٢ كان لشيخنا المترجم له من العمر ما يقرب من خمسة عشر عاما فاستغنى وهو بهذا السن عن التقليد إذ أصبح يحسن اختيار الاحتياط لنفسه في الاحكام الشرعية وناهيك بها قابلية فذة في تأريخ الفقهاء الأفذاذ وفي سنة ١٣١٧ هـ سمع النص على اجتهاده من استاذه الصدر وشيخنا يومئذ ابن عشرين عاماً لا أقل ولا أكثر . وهو مصداق قول القائل :

سل عنه واخبر به وانظر اليه تجد ملء المسامع والافواه والمقل

وانما القول فيه عالم علم ضرب الزجاج لنور الله في المثل

منزلته الاجتماعية :

لم يشاهد منذ نصف قرن من الزمن حتى الآن رجل أجمع الناس على حبه وتقديسه واكباره واحترامه كشيخنا الراحل فقد اتفق على حبه الخصوم وتابعه الكبير والصغير وأنس بمجلسه العالم والجاهل ، ولم تسمع اى قصة نابية نسبت اليه كما لا تجد عليه اى مأخذ في حديثه وسيرته ارتفع فيهما ارتفاعا كان المقياس الاول لأولي البصائر وارباب السير وحلق في روحه عن درن الحياة وأوضارها حتى لا تجد أي شائبة فيه . أوضح لناسير الاولياء الذين ذابوا في حب الله ومعرفته . وفكر في شؤون الناس والذب عنهم وعن عقيدتهم الحقه ماوسعه الامكان وكانت هذه النفسية تصاحبه يوم ان كان يعيش في كنف والده .

طريقته في التدريس :

عرف قدس سره باسلوب خاص في التدريس قل ان شوهد في غيره من معاصريه فقد كان منذ الدور الاول من حياته وهو في الكاظمية يقوم بتدريس عدة حلقات في الفقه والاصول وفي حياة والده الحجة كان تهافت الطلاب والفضلاء عليه مما لفت نظر كثير من العلماء وارباب التدريس فقد لمسوا عنده طريقة فنية في إيصال الخواطر العلمية الى نفوسهم بسرعة ودقة ، وكان في هدفه الذي رسمه يغرز في التلميذ قوة الذهن وحدة التصور ويوجه قلبه الى التأمل والتفكير في الموضوع الذي يلقيه فهو عند ما يدلي بالفرع يذكر كافة أقوال الفقهاء المؤيدين والمفندين ، ثم ياتي بكافة الوجوه التي تصحح ذلك الفرع ما يدعو السامع الى الايمان بها والتجلي لكشفها ثم ينبري الى مناقشة اولئك الفقهاء على ضوء القواعد الصحيحة فاذا بمن سمع يتلاشى من ذهنه كل ما مر عليه ، ثم يأتي بالرأي الذي استقر عليه واذا بالقوم لا يدرون من اين جاء به ومن اين اخرجه ، وكان قدس سره أول فقيه وقف على اسرار كتاب الوسائل وتمحيص اخباره والوقوف عليها في غير ابوابها . وهذا ما جعل أن

يخرج على حلقة درسه الاخيرة فريق من الأفاضل الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد بهذه الطريقة الرصينة المحكمة وأصبحوا ممن يشار اليهم بالبنان في جامعة النجف .

المغفور له .

مركزه الديني :

لقد اجمع اساتذة العصر وأفاضله أنه المجتهد الذي احاط بالفقه ووقف على أسراره كما اجمع على زهده وورعه وتقاه وقداسته وابتعاده عن كل ما يريب .

هبط النجف عام ١٣٣٩ هـ فجدد في علمه وعمله حياة آبائه والسلف الصالح فملأ النفوس اكباراً والصدور هيبة والعيون احتراماً ، وبهر الفضلاء في استحضاره وقوة بداهته وعبقريته . وانتهت اليه زعامة المذهب في حين أنه كان يبتعد عنها ويتحاشى التعرض لها . ولكن الارض لا تخلو من حجة فقد تهافت الناس على الاقتداء به والتقليد له . وكان لا يحرص على أي شيء من امور الحياة بقدر حرصه على مواصلة تدريسه وتكوين اكبر عدد ممكن من حملة العلم حتى أوجد فريقاً أصبح المبرز في العلم والفضل ومعرفة مقاييس العلماء والمشهود له برتبة الاجتهاد من استاذه المغفور له وكان الى جانب عظمته متواضعاً منبسط الروح رحب الصدر لين الجانب تحرر في كثير من القيود التي لا تتماشى والدين الصحيح ولا تتفق والعقل وكان رحمه الله كثيراً ما يشفق على بعض رجال الدين الذين لا يماشون موكب الزمن ولا يدركون اسرار الحياة ولا يتصورون فلسفة الدين . وكنت كثيراً ما اسمعه يقول إنا بحاجة الى مصلحين وقادة مفكرين وأقلام مرنة وعقول ناضجة تحسن عرض مادتنا العلمية على ابناء العصر ليقفوا على حقائقنا ومبادئنا التي تماشي موكب الزمن . فلا بدع اذا ما اتجه الناس نحوه ولمسوا فيه روح الزعامة الصحيحة والآراء العالية .

مميزاته وصفاته :

كان قدس سره يحتفظ بميزات ندر المتحلي بها فهو الى جانب فقاهته اديب مرهف الحس وكاتب رقيق الاسلوب وحدث يحيل الجالس الى سمع فقط . وكنت كثيراً ما احاول ان اقرر زمن الجلوس عنده فاذا به يتضاعف من دون أن اشعر به واذا بي بعد زمن الفراغ أحس بامتلاء في نفسي وارتفاع في روحي تتخلل حديثه الآخاذ مجموعة من النكات الاخلاقية والعلمية والادبية . في حين انه لم يشاهد له رأي متناقض أو فتوى متضاربة أو قول خال من حيوية الحق .

آثاره العلمية :

خلف شيخنا الراحل آثاراً لا يزال بعضاً مخطوطاً كما طبع بعضها ولم يتم بعض آخر بالنظر إلى ما اعتراه من الأمراض التي ضيعت منه زمناً ثميناً . منها (١) سبيل الرشاد في شرح نجاة العباد للشيخ صاحب الجواهر (٢) شرح منظومة السيد بحر العلوم في الفقه وقد شرحها نظماً فخرج الأصل في أبيات الشرح وأحياناً يفرق البيت الواحد بتصديره تارة وبتعجيزه اخرى وهي بمنظومها ومضمونها بلغت منتهى الجودة (٣) شرح التبصرة في الفقه وهو كتاب استدلالي (٤) شرح مشكلات العروة الوثقى (٥) منظومة في احكام السلام (٦) منظومة في صلاة المسافر (٧) حواشي العروة الوثقى (٨) حواشي وسيلة النجاة (٩) بلغة الراغبين في فقه آل ياسين رساله عملية طبعت ست مرات ..

وفاته :

توفي قدس سره في الكوفة يوم السبت في الساعة السابعة والنصف عصراً في اليوم الثامن والعشرين من رجب عام ١٣٧٠هـ وما كاد النبأ المرعب يطرق اسماع مجاوريه حتى انتشر الى كافة اقطار دنيا الاسلام فقدقامت دار الاذاعة العراقية بنقله وبثه فكانت تلك الساعة من أرعب الساعات التي مرت على الاسلام والمسلمين وبالنظر لتفصيل نبأ الوفاة في غير هذا الموضع من العدد نختم ترجمتنا هذه بالابتهال الى الله في حفظ كيان الاسلام وزعماء الدين في مشارق الارض ومغاربها انه سميع مجيب .

علي الخاقاني